بسم الله الرحمن الرحيم

الأبعاد الإستراتيجية والحضارية للـــجـــهـــاد

تأليف؛ محمد ياسين

تم تنـزيل هذه المادة من
منبر التوحيد والجهاد

w.dehwat.www//:ptth
dqamla.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth

المحتويات

منبر التو

مقدمة

الأسس العقدية والأبعاد الإستراتيجية للجهاد:

الأسس العقدية:
- حق الله عز وجل
- توحيد الربوبية
- توحيد الألوهية:
  - الشعائر التعبدية
  - الولاء والبراء
  - الحاكمية

الأبعاد الإستراتيجية:
- حق الأمة الإسلامية على الفئة المجاهدة
- تحقيق الهوية الإسلامية
- تحقيق مقتضى وجود الأمة / جهاد الطلب
- الدفاع عن المستضعفين / جهاد الدفع

البعد الحضاري للجهاد
- الجهاد ومحور السنن القدرية
- الهوية التاريخية للطائفة المقاتلة

الخاتمة

مقدمة

نادرا ما تتجمع في الأحكام الشرعية كُلاً من متطلبات الواقع والواجب الشرعي والحتمية القدرية في آن الوقت؛ وقد اختص الله سبحانه وتعالى هذا الفضل - ولا سيما في زمننا هذا - للجهاد ربما لكونه ذروة سنام دينه، فالجهاد قد نص عليه الشرع بوضوح من جهة وبيّن كذلك أنه ماض في قدره إلى يوم القيامة عبر الفئة المنصورة من جهة ثانية وبات واضحا للعيان في واقعنا تفشي الظلم وانتشار

الفساد وغرور الطغيان وظهور الباطل من جهة ثالثة؛ فالشرع ينبه "إما الجهاد أو الردة"، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (المائدة: من الآية 54)، والواقع يستنجد "أين المجاهدين؟" الذين سيعيدون الغزة لادين ويرفعوا الظلم عن المستضعفين والقدر ينادي "إن الجهاد ماض إلى يوم القيامة شاء من شاء وأبى من أبى"... إذن فـ "حي على الجهاد".

أكد الله عز وجل في وحيه وشرعه وقدّر في مشيءته وحكمته أن يكون له حزبا خاص به سبحانه سيتكفل بإخراجه فضلا منه تعالى على أمته من بين المؤمنين الذين يتقاعسون عن دورهم الحضاري وواجبهم الشرعي. وأوضح سبحانه أن من الخصائص الذاتية لحزبه شرف حبه تعالى لتلك الفئة وحبها الصادق والخالص له، والذلة المتبادلة كسلوك داخلي والعزة كسلوك خارجي مناطه العزة بالدين على أعداء الدين.

كما أوضح سبحانه أن الخاصية الموضوعية لحزبه وغاية وجودهم هي الجهاد في سبيل الله على أعداء الله بدون مبالاة بالذين ينتقدونهم أو يخذلوهم أو إحراج من رفع لواء الجهاد.

ومن تم وعدهم الله القوي العزيز بالغلبة والنصر والظهور، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) (المائدة:56).

وفي هذا الخطاب الواضح والمباشر من شئنه ترسيخ عند أولي الألباب والفطر السليمة وأصحاب الغيرة على دين الله، عقيدة الإرتباط بالحق بالإنتماء لحزبه واكتساب شرف وفضل العضوية فيه على أساس نصرة دينه بالجهاد لأنه ما دونه الردة.

إذن، إذا كان الجهاد كمنهاج حياة من تصور وسلوك حاجة واقعية وواجب شرعي وحتمية قدرية لتحقيق الحق وإزهاق الباطل ونشر العدل ورفع الظلم وإظهار الإسلام ومحو الجاهلية في جميع مظاهرها فإنه يمثل خيارا استراتيجيا للمؤمنين لا مناص لهم منه، لأنه أولاً من خلاله يؤدون عليهم حق الله عز وجل في إعادة سلطانه/الحكم والتشريع في ملكه/الأرض وحق الأمة الإسلامية في إحياء هويتها المفقودة وإعادة العزة لها وحق الإنسانية جمعاء بقيادتها بالحق والعدل وثانيا لأنهم عبره يحققون البعد الحضاري للأمة الإسلامية الذي يكمن في خَيْرِيَتِها بالنسبة لباقي الأمم - كما سيأتي تفصيله في النقطة الثانية لهذا المقال - فيتأتى لهم بعد ذلك التواجد الفعلي على الساحة السياسية الدولية.

الأسس العقدية والأبعاد الإستراتيجية للجهاد

الأسس العقدية

حق الله عز وجل:

إن توحيد الله عز وجل وعقيدة الولاء والبراء والجهاد في سبيل الله يمثلون رأس مال المؤمنين وسلعتهم المقدسة التي ستنجيهم يوم القيامة قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الصف:11)، فإذا كان الإيمان بالله والجهاد في سبيله هي التجارة الرابحة، ما ارتباط الإيمان بالجهاد؟

إن الإيمان بالله يقتضي - كما هو معلوم من الدين بالضرورة - توحيده تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته:

توحيد الربوبية: هذا النوع من التوحيد يتضمن الإعتقاد الجازم بوحدانية الله تعالى وتفرده في ذاته وأفعاله وأسمائه وصفاته،و بما أن الرب هو المالك المتصرف فإن توحيد الربوبية هو الإقرار بأنه سبحانه وحده الخالق المدبر لأمر خلقه (أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (الأعراف: من الآية 54)، وما دونه مخلوق (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً) (مريم:93) لا يقدر على شيء إلا أن يأذن الله (وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (التكوير:29). وكل من إدّعى لنفسه أو لغيره هذا الحق هو طاغوت قد نازع الله في حقه ووجب الكفر به (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا) (البقرة: من الآية 256) وبمقتضى ذلك أمرنا سبحانه بأن نرد الأمر له (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) (النساء:59)، وبما أننا في نزاع دائم مع الطواغيت حول قضية "لمن يكون الأمر والنهي في أمورنا السياسية والإقتصادية والاجتماعية والثقافية، للقوانين الوضعية أم لله عز وجل؟"، كان لازما وعاجلا الجهاد ضدهم لاسترجاع ذلك الحق المغصوب والقيام عمليا بمقتضى "فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ" على أرض الواقع، قال تعالى (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (الأنفال:39).

ومن جهة أخرى، إن معادلة الوجود تُخْتزل في وجود الله عز وجل كخالق والمعبود ووجود مخلوقات إما عبيد طواعية أو كراهية منعدمة الإرادة وهي كالكون مثلا والمخلوقات الأخرى التى سن لها سننا كونية تضبط حركتها بدقة متناهية وحكمة بالغة تضمنان التوازن المستمر في الكون؛ وإما مخلوقات لها إرادة تستثمرها في الطاعة أو العصيان قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ) (الحج: من الآية 18)، وليسود الإنسجام في الكون بين جميع الأمم من المخلوقات شرع الله عز وجل لهؤلاء الناس أحكام وسننا شرعية تضبط حركة حياتهم - كما هو الشأن في سسن الكونية - تمثل المسلك الوحيد للإنتماء لهذه المنضومة الكونية المنسجمة العابدة الموحدة لله عزوجل وعبره يتم السلام الكوني: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) (الروم: من الآية 41).

و بما أن أمر الله قد على في خلقه قال تعالى: (أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (الأعراف: من الآية 54)، وقال أيضا: (وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ) (النحل:52)، فمن حقه تعالى إذن على الفئة المؤمنة أن تُعْلي أمره الشرعي الذي شرفها به وأن تُظهر دينه كما على أمره الكون، وفي هذا صدد قال جل وعلى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (التوبة:33)/ (الصف:9).

فالهدف إذن من وجود الدين هو العلو والظهور اللذان هما من حقوق الله عز وجل.

<u>توحيد الألوهية:</u> ويعني توحيد الله عز وجل بجل أعمال العبد من الشعائر التعبدية والولاء والبراء والحكم والتشريع، ويكون ذلك بالقلب أو/و باللسان أو/و بالجوارح، أعتقادا وسلوكا.

<u>الشعائر التعبدية:</u> يقول الله عز وجل: (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام:162)، ومن هنا تتحدد شمولية العبادة لله عز وجل في جميع مجالات الحياة (مَحْيَايَ)، بل وحتى الممات (وَمَمَاتِي) يكون لله عز وجل، قال تعالى:(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة: 111)، فبالجهاد نتعبد الله لأنه يفسح المجال للمجاهدين ليكون موتهم لله.

إن الإمتثال للأوامر الإلاهية يمثل التحقيق الفعلي لمقتضيات توحيد الألوهية،و في هذا الصدد كان الأمر بوجوب القتال واضحا لا لبس فيه كما هو الشأن للشعائر الأخرى كالصيام مثلا. فكما أمر سبحانه بصيام رمضان: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة:183)، أمر بنفس الصيغة والوضوح بوجوب القتال: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (البقرة: 216).

الولاء والبراء:

أما عقيدة الولاء والبراء فهي جوهر التوحيد وبيان لـ "لا إله إلا الله" وتحقيقها والعروة الوثقى لهذا الدين، قال تعالى: (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: من الآية 256)؛ والمنهج الموضوعي والفاصل بين الحق والباطل، قال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) (محمد:3)، و الفرقان الحاسم بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، قال تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة:257)، ومضمون الرسالات، قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (النحل: من الآية 36)، فإن صلحت وأخلصت لله عز وجل فقد استكمل المرء إيمانه؛ كما روى الطبري في "الكبير" عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله)، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت

صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وصارت مؤاخات الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيءاً).

إن المرء لا يكون مؤمنا إلا بعد أن يكفر بالطاغوت أي أن يبرأ وأن يعادي وأن يبغض كل متبوع أو مرغوب أو مرهوب من دون الله.

وبما أن النجاة لا تكون إلا بالإستمساك بالعروة الوثقى، فإن الكفر بالطاغوت يمثل أولَ شروطها قبل الإيمان بالله، قال تعالى: (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: من الآية 256).

وهي تأكد على أن العروة التي يجب أن تجمع بين الناس أو تفرقهم هي عروة الإيمان وإن كانوا أولي قربى، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (التوبة:23)، وقال أيضا: (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (المجادلة:22).

ولذلك أمر سبحانه بوضوح تام وإلحاح بعدم موالات الكفار، وإلا سقطت عليه موالاة الله له وأصبح بذلك من الكافرين، قال تعالى: (لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) (آل عمران:28)، وقال أيضا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (المائدة:51).

وبالتالى، فإن من مقتضيات عقيدة الولاء والبراء:

- **<u>أولوية الجهاد في سبيل الله على شهوات الدنيا والنزوات الذاتية بل وحتى مقومات الحياة:</u>** قال تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ

كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (التوبة:24).

- **قتال أولياء الشيطان:** فبعد الفصل بين أهل الحق وأهل الباطل، وبعد ترتيب الصف من الداخل وبنائه على أساس الموالاة التامة بين المؤمنين من حب ونصرة قال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة:71)، وقال أيضا: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (الأنفال:72)، بعد كل هذا الترتيب التنظيمي، أمر سبحانه بقتال أولياء الشيطان، قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً) (النساء:76).

لأنهم علاوة على كونهم من معسكر الشيطان فإنهم يمثلون منضومة موحدة للشر تعمل على نشر الفساد في الأرض، قال تعالى: (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفّاً وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى) (طه:64)، وقال أيضا: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) (الأنفال:73).

الحاكمية:

إن مسألة الحاكمية تعتبر من صميم التوحيد لأن إفراد الله تعالى بالتشريع للخلق - وهو من أفعاله سبحانه - من توحيد الربوبية، وأن إفراده سبحانه بالحكم بشريعته والتحاكم إليها - وهى من أفعال العباد - من توحيد الألوهية.

ثم إن المراد من كلمة التوحيد، وهى شهادة أن لا إله إلا الله، هو إفراد الله بالعبادة أي بالتشريع والحكم بشرعه والتحاكم إليه.ففي رواية لمسلم فسَّر النبي صلى الله عليه وسلم المراد بالشهادة بقوله: (بني الإسلام على خمس: على أن يُعبد الله ويُكفر بما دونه، وإقام الصلاة وإيتاء

الزكاة وحج البيت وصوم رمضان) أهـ. فبيّن أن المراد بكلمة التوحيد: عبادة الله وحده لاشريك له.

و بالتالي، فإن من مقتضيات هذا الربط بين الحاكمية والتوحيد، قتال المشركين، قال صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها) [متفق عليه]، وفسَّر المراد بكلمة "لا إله إلا الله" التي تعصم الدم والمال وأن المراد ليس مجرد قولها بل تحقيقها بعبادة الله وحده وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم (بُعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبد الله وحده لا شريك له... الحديث) [رواه أحمد، وهو حديث صحيح]، فبين أن المطلوب من الكفار - والذي يُقاتلون لأجله - هو إفراد الله وحده بالعبادة لا مجرد قولهم كلمة لا إله إلا الله، وإن كان يُكف عنهم إذا قالوها حتى يُتبين منهم ماينا قضها، وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الأول (إلا بحقها) فمن حقها إفراد الله بالعبادة، كما قال صلى الله عليه وسلم: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيءا... الحديث) [متفق عليه]، وهذا كله يدل على أن المقصود من كلمة التوحيد ليس مجرد النطق بها بل الالتزام بما توجبه من إفراد الله بالعبادة [1].

ومن جهة أخرى؛ فإن هدف الإسلام عموما هو استبدال حكم الجاهلية بحكم الإسلام قال تعالى: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (المائدة:50)، وإزالة أسبابها ومظاهرها من كافة مجالات الحياة، وقال أيضا:(وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (التوبة: من الآية 36).

فمن السداجة والغباء أيضا انتظار العزة والتمكين على الجاهلية من الجاهلية، قال تعالى: (الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً) (النساء:139)، ولذلك من كان يريد العزة فعليه أن يطلبها من القوي العزيز قال جل وعلى: (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) (الصافات:180)، وقال أيضا: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ) (المنافقون: من الآية 8)، وقال أيضا:

---

[1]) راجع رسالة الحكم بغير ما أنزل الله وآثاره من كتاب الجامع في طلب العلم الشريف للشيخ الدكتور عبد القادر بن عبد العزيز.

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً) (فاطر: من الآية 10).

وبما أن الجاهلية تعمل بشمولية لتثبيت جذورها، كان لازما على المؤمنين اجتثاثها بالقوة لتمكين لدين الله عز وجل وإعادة العزة لهم، قال تعالى: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) (التوبة:29)، وقال أيضا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (التوبة: 123)، وقال أيضا: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (التوبة: من الآية 36).

وبذلك؛ يمثل الجهاد الوسيلة المنطقية والشرعية الوحيدة لإعادة سلطان لله في مملكته.

الأبعاد الإستراتيجية

حق الأمة الأسلامية على الفئة المجاهدة:

إن الفئة المؤمنة تحمل على عيئها دينا يطالبها به ضمير الأمة ويؤنبها عنه ويذكرها به التاريخ. وهذا الدين يتضمن حق الأمة الإسلامية عليها في تحقيق هويتها التى مرجت وزُورت فضاعت بفعل السفقة الخبيثة بين العدو الخارجي/التحالف الصهيوامريكي والعميل الخائن الداخلي/الطواغيت، وإقامة مشروعها الحضارى الذي يكمن في تحقيق لقضيتها ومقتضى وجودها، ورفع الظلم عن المستضعفين في الأرض.

1) تحقيق الهوية الإسلامية: إن واقع التمكين لهذا الدين يمثل غاية لذاتها كونه يفرز استقلالا ذاتيا وواقعا إسلاميا يفسحان المجال لإقامة دين الله عز وجل كما أنزل من عنده تعالى. فهي غاية نبيلة وأمر شرعي قبل كل شيء.

ومن السنن الكونية التي سنها الله عز وجل - والـتي لا تحابي أحدا - هي ضرورة تـوفير المقومـات الذاتيـة للدولـة قبل إقامتها والأخذ بالأسـباب الواقعيـة والشـرعية لتحقيـق ذلـك - فـي حـال الدولـة الإسـلامية - بموازنـة مسـتمرة وديناميكية بين المصالح والمفاسـد مـن جهـة والثبـات عـن الأهداف الأستراتيجية/ضحض الكفار وإقامة الدين من جهة أخرى. فالدولة الإسلامية - وهو الإصطلاح السياسـي للأمـة الإسلامية - في حاجة كغيرها من الدول أن تتمتع باسـتقلال جغرافي وسياسي واقتصادي.

ولا أدل عن ذلك من السيرة النبوية كونها تمثل المنهـج الصحيح الـذي يـوازي بيـن مـا هـو كـوني وواقعـي/الحاجـة للجهـاد لإقامـة الدولـة ومقوماتهـا ومـا هـو شـرعي/واجـب الجهاد لتحقيق واقع التمكين وما هـو قـدري/حتمية الجهـاد كونه ماض إلى يوم القيانة. فبعد مكوث الرسول صلى الله عليـه وسـلم فـي مكـة لمـدة 13 عامـا لتشـرب التوحيـد والدعوة إليه وتكوين الفئـة الـتي مثلـت بعـد ذلـك القاعـدة الصلبة للمنهج/الدعوة والجهاد، هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأقامة الدولة هناك لتوفر مقوماتها من قاعـدة خلفية تمثلت فـي الأنصـار واسـتقلال اقتصـادي وسياسـي، ومن تم استتب لـه الامـر صـلى اللـه عليـه وسـلم وبفضـل الجهاد فتح مكة ليدخل في دين الله عز وجل عدد هائل مـن الناس، فسن صلى الله عليه وسلم بذلك سـنة الفتوحـات - التي غيبت فـي واقعنـا وغالبـا لا تـذكر لمـا لهـا مـن تبعـات سياسية –

إننا هنا لسنا بصـدد التنظيـر للعمـل الجهـادي بقـدر مـا نستشهد بالسيرة النبوية الشـريفة لكوننـا مـن أهـل السـنة أولا، وثانيا لنستقرئ من خلالهـا علـى وجـه اليقيـن - كونهـا شـاهد مـن التاريـخ - أن اللـه تعـالى - ينـزع - بمكـن لـدينه بالسيف ما لا يمكن بالقرآن، قال تعالى: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّـهِ وَالْفَتْـحُ * وَرَأَيْـتَ النَّـاسَ يَـدْخُلُونَ فِـي دِيـنِ اللَّـهِ أَفْوَاجـا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً) (النصر).

وفيما يلي لائحة بعض الديون التي علينا:

البلد	الفاتح	المستعمر
فلسطين	عمربن الخطـاب/ وصـلاح الدين الايوبي	المشـــــــــروع اصهيوأمريكيالبريطاني

		ي
الشيشان	المجاهدون الشيشان	الروس
أفغانستان	طالبان والقاعدة	الأمركان
العراق	المجاهدون الأحرار	المشـــــــــــروع اصهيوأمريكيالبريطاني
البلاد الإســـلامية الأخرى	؟	المشـــــــــــروع اصهيوأمريكي
الأندلس	طارق بن زياد	الكفر
؟	؟	المشـــــــــــروع اصهيوأمريكي

فمتى يا ترى سنؤدي علينا هذه الديون الكبيرة والثقيلة والملحـة؟ مـتى يـا تـرى؟ ومـتى سـيتم إحيـاء تلـك السـنة الغائبة/الجهاد في سبيل الله لتحريـر البلاد وإعـادة البلـدان السابق فتحها والإنطلاق ثانية في الفتوحات الإسـلامية؟؟!! متى؟!

2) تحقيق مقتضى وجود الأمة / جهاد الطلب:

إن السبب الذي لعن بنو اسرائيل من أجله (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (المائدة:79)، يمثـل ضـدة الخاصية المميزة والتفضيلية لأمتنا من بين الأمـم وخيريتهـا على مـا دونهـا - إن هـي حـافظت عليـه وإلا شـملها نفـس المصير - (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِـاللَّهِ) (آل عمـران: مـن الآيـة 110)، ولكن إذاكانت السلطة التنفيذية تمثل الأداة الفعلية للسلطة التشريعية والتي مـن مهامهـا الصـهر علـى تفعيـل المقتضيات المباشرة للأحكام الشرعية فإن شعار (يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)، لا بد له مـن شـوكة ومنعـة لتحقيقه على أرض الواقع (وَلْتَكُـنْ مِنْكُـمْ أُمَّـةٌ يَـدْعُونَ إِلَـى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَـنِ الْمُنْكَـرِ وَأُولَئِـكَ هُـمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران:104)، وهذا هو الذي يُصْطلح عليه بمنهـج الـدعوة/(يَـدْعُونَ إِلَـى الْخَيْـرِ)، والجهـاد/(وَيَـأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ).

وكما قال شيوخنا الأفاضل :"مـا لا يتـم الـواجب إلا بـه فهو واجب"، فإن الجهاد علاوة على أنـه الميـزة التفضـيلية لأمتنا وشرط خيريتها على باقي الأمم فإن ضرورته العملية

ووجـوبه الشـرعي يجعلان منـه المنهـج العملـي والـواقعي لتحقيق مقتضي وجود أمتنا.

ومن جهة أخرى، فكما تفضل الله عز وجـل علـى هـذه الأمة فكرمها بالرسـالة الـتي تأسسـت مـن أول يـوم علـى الإرتباط بالحق من خلال إستقراء القدرة والحكمة الإلاهيـة من الكون:(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَـقَ الْإِنْسَـانَ مِـنْ عَلَـقٍ) (العلـق:2)، والإرتبـاط بشـرعه الـذي يمثـل قمـة التكريم لذلك المخلوق الضعيف:(اقْرَأْ وَرَبُّـكَ الْأَكْـرَمُ،الَّـذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ،عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَـا لَـمْ يَعْلَـمْ) (العلـق:5)، تكـرم على الإنسانية كذلك بأن كلف أمته هذه بتبليغها ديـن الحـق وإظهـاره علـى الباطـل لإقامـة الحـق والعـدل والسـلام، (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَـطاً لِتَكُونُـوا شُـهَدَاءَ عَلَـى النَّـاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) (البقرة: من الآية 143).

ومنهج تعبيد الناس لرب العالمين بدون إكراه (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَـدْ تَبَيَّـنَ الرُّشْـدُ مِـنَ الْغَـيِّ) (البقـرة:256) هـو التوحيد الكفيل لإخراجهم من الظلمات إلى النور (اللَّهُ وَلِـيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) (البقـرة: مـن الآية 257)، وتعتبر هـذه المهمـة الصـعبة والثقيلـة امتـدادا لمنهج مدرسة النبوية في تحقيق الحق وإبلاغه للنـاس عـبر الجهاد (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَـاكُمْ وَمَـا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُـمْ إِبْرَاهِيـمَ هُـوَ سَـمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُـمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَـأَقِيمُوا الصَّـلَاةَ وَآتُـوا الزَّكَـاةَ وَاعْتَصِمُوا بِـاللَّهِ هُـوَ مَـوْلَاكُمْ فَنِعْـمَ الْمَـوْلَى وَنِعْـمَ النَّصِـيرُ) (الحج:78).

3) الدفاع عن المستضعفين / جهاد الدفع:

إن وضع الأمة في أيامنا هـذه لتـدمع لـه الحجـارة قبـل القلوب، فليس تمت أرض للإسلام يرفـع أهلهـا لـواء الحـق في وجه الطواغيت إلا ورأيت حال المستضعفين فيها يرثـي ويستنجد بالمخلصين، ولا عجب بعد ذلك إلا من الذي لا زال يجري ويلهث وراء مصالحه الشخصية منسلخا من أي قيـود أو إرتباطات من شأنها أن تعوق وصوله لأهدافه فحق عليـه قوله عز وجل: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّـذِي آتَيْنَـاهُ آيَاتِنَـا فَانْسَـلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِـئْنَا لَرَفَعْنَـاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَـوَاهُ فَمَثَلُـهُ كَمَثَـلِ الْكَلْـبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَـوْمِ الَّـذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (لأعراف: 176).

وهو في هذه الحال بعيد كل البعد عن دائرة التأثير بل ومغيب أو غائب عنها ليعطي بذلك الفرصة السياسية الثمينة للعدو ليقتحم مساحة سياسية عميقة في صلب الأمة الإسلامية وفي ثرواتها وفي صميم مقدساتها العقدية والجغرافية يصعب بعد ذلك اجتثاثه منها ويكون حينئذ شريكا مباشرا في عملية الإجرام والغزو الجديدة.

وهذا التجاوب المصلحي يُمهَّد له إما بفعل استجابة النمطيين والغرائزيين لهمسات ودبدبات التنويم المغناطيسي/الوعود الوهمية والسلام العالمي وتناولهم جرعات الأقراص التخديرية/المفاوضات وإدمانهم إياها والتي يدسها الغرب وعملائه عبر مختلف وسائل الإعلامية منها والثقافية والسياسية/"السلام،حوار الأديان السماوية.."، وإما عبر سفقات خبيث ومباشرة!؛ أو بفعل التسول السياسي الذي يطمع السالكين فيه/المتسولون اكتساب بعض المصالح وإلبقايا من الجثث التى يفترسها الطاغوت الغربي ليمحوا أثر جريمته فيمنحوح بذلك غطاء على أعماله الإجرامية ومبررات لاقتراف أخريات!؛ أو بفعل حسن الظن - الذي ليس في محله لا منطقيا ولا شرعا - بالحكام/الطواغيت وهم ينتضرون أي المرجئة الجدد - تجاوزا - تحت المنبر طلوع حكامنا فوقه ليعلنوا صراحة وبلسانهم كفرهم البواح ومن تم المبادرة والإعداد للخروج عليهم!؛ أو بفعل السداجة السياسية حيث يظن الصوفية الجدد أن التواجد في مراكز القرار السياسي والبرلمانات/الزوايا الحديثة نكون قد سلكنا طريقا مختصرا/غير متعب وغير مكلف خاصة وما علينا إلا المزيد من الممارسة السياسية /الرياضة الصوفية والإكثار من الإحتجاجات والمعارضة/ الورد للوصول إلى السلطة /النيرفانا.. لاحول ولا قوة إلا بالله.

قال الله عز وجل: (وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً) (النساء:72)، ألا يخشى هؤلاء وقوفهم أمام الله عز وجل حين سيسألهم : (وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً) (النساء:75).

البعد الحضاري للجهاد

يشهد التاريخ للأمة الإسلامية بإنجازات حضارية فريدة في شتى مجالات الحياة الإنسانية من الفتوحات الإسلامية في المجال السياسي إلى المنهج التجريبي في المجال العلمي مرورا بنشر الأخلاق والعدل والسلام والحرية الحقيقيين في المجالين الإجتماعي والعقدي.

ولم يكن ليتأتى لأمتنا هذا الإنجاز الحضاري وهذا التواجد الفعلي على الساحة العالمية إلا بفضل الجهاد الذي سنح لها الفرصة لتفرض وجودها كحضارية إنسانية تنشر العدل والسلام. فبعد انطلاق الفتوحات الإسلامية عرفت الإنسانية منعطفا حضاريا جدريا يحدد لها مفهوم جديد للحضارية المبنية على الأخلاق لا على الإستعمار الفكري والعسطري، تحرر الإنسان ولا تستعبده، وتمنحه الكرامة ولا تهينه، وتبني الإسلام وتمحو الجاهلية.

ولكن في مسيرتها الحضارية هذه واجهت تدافعا شرسا من طرف الطواغيت وقوى الشر أدى بها في بعض الأحيان إلى ضعف مرحلي وتراجع تكتيكي لم يثنيها عن تجميع قوتها المعنوية والمادية لمواصلة مهمتها الحضارية التحررية.

وفي كل مرة تصاب فيها بالتراجع كانت تستوحي دائما قواها المعنوية من إيمانها بأن إبتلائها هذا ما هو إلا سنة قدرها الله عز وجل لتراجع ذاتها وتُقوِّم سلوكها لتنطلق من جديد في مسيرتها الجهادية لأن الجهاد/مجال التدافع وآليته يمثل محور وموضوع جميع السنن القدرية التي ترتكز على التدافع بين قوى الحق وقوى الباطل؛ كما تعلم أيضا أن عهد المعجزات قد ولى وأن الله سبحانه وتعالى كلف الأمة الإسلامية بدور تاريخي بإزهاق الباطل وتحقيق الحق يمثل لها تحديا واقعيا لتثبت وتأكيد هويتها التارخية.

1/2) الجهاد ومحور السنن القدرية:

من المعلوم أن حقيقة العلاقة بين الإسلام والجاهلية مبنية على صراع عقدي يمنحها من جهة صيغة الديمومة المستوحاة من عمق وأزلية العداوة بين الشيطان/أمير معسكر الشر وبين الإنسان المسلم بفطرته وحالة مد وجزر من جهة أخرى بحسب توفير مقومات النصر لذى هذا الطرف أو ذاك. وهذا الصراع بغض النظر عن الشكل الذي يأخذه، فهو ينتهي دائما إما على وضع قهر أو نفي طرف على يد الطرف الآخر.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الحقيقة - حقيقة العلاقة بين الإسلام والجاهلية - ما هي إلا جزء لا يتجزء من منضومة سننية أعم تشمل التفاعل الحضاري بين مختلف الأمم وتأكد حقيقة التدافع بين مختلف الحضارات إما على أساس إديولوجي - عقدي بحث كما هو الشأن بين الإسلام والجاهلية الذي يمثل المشروع الصهيوني خير مثال عنه، أو على أساس مصلحي في المجال الإقتصادي أو/و السياسي أو/و الإستراتيجي كما هو الشأن في التدافع بين أمريكا والعلم الغربي (أوربا والصين وكوريا الشمالية..)، أو على أساس خلطة ممزجة بوصفات سياسية من الدوافع الإديولوجية والمصلحية كما هو الشأن في الحرب على العراق.

وعلى أساس هذه الحقيقة التاريخية - صراع الحضارات أو تدافع الحضارات كما يحلو للبعض أن يسميها - والتي قد أشار إليها الله عز وجل في محكم تنزيله: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة: من الآية 251)، وفي ظل الحقيقة القدرية التي تفرز الصراع بين الحق والباطل حدد عزوجل قوانين داخلية لكلا من المعسكرين على السواء وقوانين تضبط تفاعلهما عند المحك. فمثلا من عدله تعالى أن لا تقوم لأهل الحق شوكة ومنعة على شكل "واقع التمكين" إلا بعد أن يجتثوا الباطل بأيديهم، كما أنه من حكمته كذلك أن لا ينصرهم في هذه المهمة إلا بعد ابتلائهم وتمحيصهم وتمييزهم ونجاحهم في ثباتهم على منهجه.

لذلك يمثل الصدام المسلح والجهاد القتالي هو ذروة سنام هذه الإختبارات كلها بل إنه من أشدها لأنه فيه تتجمع تلك المحن كلها. وهكذا يؤدي الجهاد دوره الحضاري في إثبات أحقيت الحق على الباطل عبر الفئة المقاتلة.

2/2) الهوية التاريخية للطائفة المقاتلة:

من يتجول في شوارع أوروبا ويرى العمران الحديث والمتطور والبنى التحتية التي تلبي جميع متطلبات المواطن لم يكد يصدق أن الحرب العالمية الأولى والثانية اللاتى ضمرن الكثير قد مرتا من هنا منذ فقط 60 سنة على الأكثر. ولكن من وضع هذه المرحلة في صياق التاريخ الحضاري وقرأ الأحداث بآليات التصور الإسلامي المسوحى من القرآن كشفَ له السر وفهم أن الأمم الكافرة حين يبتليها الله بالبأساء والضراء إنما يكون ذلك لتراجع نفسها ولتتضرع بعد ذلك إلى الله فإن لم ينفع معها ذلك استدرجها سبحانه فيفتح لها أبواب الرزق الغير المبارك - لأن البركة خاصة بالمؤمنين (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) (الأعراف: من الآية 96) - لتزداد طغيانا إلى درجة الغرور التام ليأخذها بعد ذلك بما يشاء وكيف ما يشاء، قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ، فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ، فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام:45).

وهذه سنته تعالى الجارية مع الكفار عبر التاريخ والتي لا تتبدل ولا تتغير لا بفعل الزمان ولا المكان ولا الأمم (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) (فاطر: من الآية 43). هذه السنة تجلت عدة مرات عبر التاريخ في أمم قد خلت (نوح، فرعون، ثمود، لوط، صالح، شعيب،...)، قد لحق بها نفس المصير عبر تصليط ظواهر كونية مختلفة عليها. فكانت الظواهر الكونية هذه آلية السنة الجارية لتذكير الكفار بدينهم وعقيدتهم؛ أما وأن الإسلام هو رسالة للعالمين من جهة وخاتم الرسالات من جهة أخرى فإن الدور الذي كانت تؤديه تلك الظواهر الكونية في تذكير الأمم بدينهم وايعادة التوازن الحضاري بين الأمم فإن هذا الدور أصبح منكالا للمسلمين عبر جهاد الطلب (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً) (النساء:84).

وتجدر الإشارة إلى أن جهاد الطلب يمثل القتال فيه آخر فرصة للعدو بعد دعوته للإسلام أو دفعه للجزية أو

القتال (قَـاتِلُوا الَّـذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِـاللَّهِ وَلا بِـالْيَوْمِ الْآخِـرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَلا يَـدِينُونَ دِيـنَ الْحَـقِّ مِـنَ الَّـذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ حَتَّـى يُعْطُـوا الْجِزْيَـةَ عَـنْ يَـدٍ وَهُـمْ صَاغِرُونَ) (التوبة:29).

وعليه فـإن جهـاد الطلـب يمثـل المنهـج العملـي لكـي تؤدي الطائفة المقاتلة دورها الحضاري وتؤكد عبره هويتهـا التارخية.

الخاتمة

حاولنا في هذا المقال اعطاء رؤية متكاملة عن الأبعـاد من الجهاد والأهداف المتوخاة منه.

فعلاوة على أن الواقع يطالب بـه والشـرع يحـث عليـه فإنه مناط الغزة وقمة الشرف أن يخدم المـرئ ديـن اللـه عز وجل وأن ينتمي لثكنة جنده (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُـؤْمِنِينَ لِيَـزْدَادُوا إِيمَانـاً مَـعَ إِيمَـانِهِمْ وَلِلَّـهِ جُنُـودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً) (الفتح:4).

**تم تنـزيل هذه المادة من
منبر التوحيد والجهاد**

منبر التوحيد وال
w.dehwat.www//:ptth
dqamla.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth